النـــافذة الإ رُبع

قصة : نورهان عزت (لمعة زمرد)

١٤٣٤/٢٠١٣

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod

من آخر السطر أبدأ ، لأن نصف الورقة مقطوع من دفترها القديم، ومن تفاصيلي ..!

انا وسام ، او هكذا أسماني والدي بعد شجار مع جدتي حول اسم ابنه البكر للأسرة الذي يحمل نسلها النقي من سابع جد ، وحين احتدم الشِجار كانت البطاقة محتّمٌ عليها اسم (عبد العزيز) كما طلبت امي ، وتركت لوالدي حرية ما يناديني به ، فكنتُ (وسام) رغماً عن أنف عبد العزيز وأمه !!

أتعلم .. يعجبني اسمي ، ولا زلت اراه كذلك كلما برز في شهادة تقدير او وسام شرف ،أجاد الزمن اقناعي به ، بات رمزاً للحافز الذي لا زلت اطمح كل يوم ان اكون شيئا منه ،شيئا يشبهه ،ببساطة .. أن اكون أنا! هكذا كنت اقنع نفسي دائما حتى لا أذوب بعيدا عن التميز الذي اعتدت عليه ، ولا عجب ان ترى شابا مثلي في بداية حياته يطمح للسماء كلما ارتقى نحوها خطوة ، له اجنحة من أحلام لا يبترها ثقل المحبطات واعذار العاجزين، تهز الكون بعصفها مهما اعتلى في الانحاء صخب الصمت! .

دعاني صديقي (خالد) ككل خميس للغداء في منزل والدته، تلك التي لطالما اعتبرتني ابنها الثاني ، خصوصا وانني مثال رائع لأبنها الوحيد يُحتذى به في كل شيء ، ولا بأس بالكثير من المصلحة في الواجبات والدروس ، ويا حبذا معلومة ألقيها له من هنا او هناك حين تتشابك خيوط رأسه وقت الامتحان كمصيدة تحبسه .

أحب خالد جدا ، واعتبره أقرب اليّ من والدي المنشغل عني دائما. لا أعلم لم ..لكنني كنت اتخيل نفسي أحيانا برجل واحدة ،واصابع مبتورة لا تقوى على الكتابة ، وأجد ظله كل مرة يرمم تلك الصورة السوداء ، كان هو الريشة والحرف الناقص واصابع الفنان التي لا ترضى بلوحة ناقصة ، لا يرضى الا أن يكون اول ملامح الوسام !

ولاننا كما الاخرين ؛جمعتنا تلك الهواية التي تجذب كل شباب جيلنا بعد انقضاء فترة الدراسة ، ان نجتمع سويا في الساحة الترابية خلف منازلنا لنلعب فيها الكرة ، كانت ساحتنا بقايا انقاض لمنزل قديم أعتلى أرضها ذات زمن ، تكفّلنا بجعل تلك الارض اسطورتنا الصغيرة ، أخذنا ننظفها ونلونها وننصب الشباك في ارضها حتى لا نفقد متعة المحاكاة لاكبر ملاعب العالم والتي نحلم بأن نكون فيها ذات مرة ...

انهينا تناول الغداء في بيت خالد ، وركضنا سريعا نحو الباب دون حتى ان نغسل ايدينا، نادتني ام خالد من بعيد : وسام ، انتبه على خالد ، عهدتك ابني ،وعهدتك اخاه (دير بالك عليه) .

لم يكن من عادتها ان توصيني هكذا بجدية اعتلت وجهها ، لكنني لحظتها لم أُعلي للامر اهتماما لفرط حماستي لأن اهزم خالد وفريقه : حاضر يا خاله (تكرمي) ..

كنت اتسابق وخالد نحو الملعب متجنبين انقاض المبنى والتي تمنينا كثيرا لو انها تُزال في اقرب وقت ، فهي هنا منذ سنين ، ولا يبدو ان ثمة أمل بان يبني ورثة الارض على اركانها شيئا ،فخلافهم ما زال طويلا ، وبين تلك الانقاض تختبئ احيانا حيوانات صغيرة وكائنات اشبه ما تكون الى من يحتمي لكهفه التي اعتاده ، والتي نستغرب منها كل مرة حين نراها ..وحين تختفي !

- ياربي ، قف في مكانك يا خالد ، هيا لا تزعجني بحركتك الكثيرة ، نريد ان نعلمكم كيف يكون اللعب الحقيقي قبل ان تغيب الشمس ، لا وقت نضيعه، ام انكم تهربون كما العادة !

- اصبر قليلا ، سعيد مازال نائما، نريده ان يكون هجوم فريقنا ، لا تكن انانيا ..

- وهل ستنتظر الشمس سعيد ؟! يا رجل (خلّصْنا) نريد ان ننتهي من هذا ....لحظة ،ها قد جاء البدين ، ياالله يا سعيد ما أكسلك !

هنا ...أختار القدر نقطة في آخر السطر بشكل ما لازلت أجهله ، شطر من قصيدة لم تكتمل كما رسمتُ لها وزنا وقافية ، كما حَلُمَ وسام ،فراغ لاح بعده استفهام طويل يكسر الموازين ،يبدأ صفحة نصفها ممزق ، ونصفها الآخر هو ثقب الحياة الوحيد !!

الى هذه الكلمة هنا قد لا تجد ما يثير فضولك لتعرف أكثر ، فما أحمل من ماضٍ في ذاكرتي لم يكن يسعفني لأعرف من هو وسام الذي يسكنني حقاً، ومن يجب أن يكون ، لم يتبقى من تلك اللحظات الا صدى صامت في لحظة ما وسكون ، سكون تلاشى معه صخب أصواتهم ، صوت أمي ، وصراخ الجارة ، وعتاب خالد ، وحتى صوتي ! . حتى صوت قطة سور منزلنا المزعجة ، التي تمنيت لو انها تختفي من وجه الحياة حين أنام ، كم اتمنى ان لا تنقطع أبدا عن المواء مهما رميتها بالحجارة ! ، هي مازلت تنام لدينا .. لكنني ما عدت أدرك انها هناك !

أقسم لك ان النسيان احيانا له ألم الجمر أكثر من حنين التذكر ، ذاك اننا لا ندرك وجع اللحظات الا حين تُلوّح لنا مودّعة ، تاركة خلفها غبار من سراب ، وطريق مبهم ، لا نعرف أين نحن منه ..والى أين ينتهي !

ما كنت أعتقد أصلاً ان فصلاً من حياتي سيبدأ هكذا، عند عتبة تلك اللحظات التي لا طالما تكررت عشرات المرات على مدى ستة عشر عاما مضت ؛ خميس وغداء ولعب .. كنت أظن انها لن تنقطع حتى افقد متعتها وأقطعها بملئ ارادتي يوماً ما ،لكن يبدو ان العد التنازلي لها قد توقف هناك ، لتوشمني بقصة أحادية الجانب، ليس فيها سوى انا.. ونقطة آخر السطر تتكرر كثيرا كل نسيان لتصنع جزءا من النص مفقود، أكبر من أن يُحكى ، وأصغر من أن يُقال .. لكنني سأكتبه وفاء لماضٍ خنته حين لم ألتقط لأحلامه صوراً تتحدث عني.. تذكرني ..تعرف اسمي ، ولم أعبأ بسطوره الفارغة المضمون والتي لم اتكلف عناء أن املأها بشيء ما ..لانها قد لا تعود .. لا بتفاصليها ..ولا حتى بي !!

..كانت آخر مرة أرى فيها خالد ، وارى سعيد ، وارمي كرة..!

وتبدأ قصتي من آخر السطر ، بعلامة تنصيص لا تحمل من عشرين عام الا ما قالوا انه اسمي .. وعلامة استفهام لم تجد إجابتها الا في نافذة أحدهم !

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

شعرتُ باهتزاز شديد في جسدي. . لكأنما أحد يحاول ايقاظي من سبات، وهل أنا نائم حقا! ، فتحتُ عيناي ببطيء لأرى أمي وام خالد بوجه شاحب وملامح باكية وهما تحاولان ايقاظي ، لمَ؟..وأين أنا ؟! وما الذي حدث ، لا يبدو المكان مألوفاً ، لكنه يشبه ذلك المشفى الذي احتجزتُ فيه عند اصابتي في حادث في صغري ..ربما هو نفسُ المكان على ما أعتقد ، ذات الرائحة وذات التفاصيل التي لا ترمز لشيء سوى اللاشيء وبضع آلام ! . لكن.. ما الذي جاء بي الى هنا ؟!... لحظة امي تكلمني ... ولا أسمعها! ، معقول ..هل أهذي ام أنها أحلام يقظة؟! ، بالله ليشرح لي أحد ما يجري ، أجيبيني يا أمي ، ألا تسمعينني ، امي ..امي ، يا خاله.. يالهي كأني صوتي مكتوم ، أشعر باني اتكلم ، لا أنا الذي يسمعني ولا يسمعني أحد !..هل اصابني شيء؟! ، ثم ماذا عن خالد ، اين هو وسعيد والبقية ؟..والأهم.. مابال أمي تنظر الي وتبكي ولا تبالي بنادئي لها ، حينها أمسكت امي بورقة وقلم اسود ذا

خط عريض لتكتب عليها شيئا ، ثم إلفتتْ بها نحوي لأقرأها ، : أأنت بخير ي وسام ، هل تشعر بألم ؟!!!

بدأتْ لحظتها تنهال عليّ صدمات وعدم استيعاب شككني في ماهية ادراكي لما يحدث ، كل شيء فجأة بات غير طبيعي بالمرة . أكتشفت بعد عدة اوراق كتبتها أمي انني قد أصبت في انهيار جزء من البقايا المتهالكة للمنزل القديم الذي كنا نلعب بجواره ، انهار فجأة دون مقدمات ، دون أن يترك في ذاكرتنا مساحة لنستعيد شيئا ، لننقذ أنفسنا بما تعلمنا من فنون البقاء فينا ، أوحتى لنتذكر ما حدث . طمرتني حينها الانقاض وسقطتْ احدى تلك الصخور على قدمي اليسرى فكسرتها ، لكنها ستتعافى ، واخرى سقطت على رأسي ، تبين لي بعد تمهيد طويل وتنهيد من أمي انها أصابت مركز السمع والتكلم في المخ ، ولولا رحمة ربي لكنتُ مشلولاً او ميتاً ربما فشطاياها لم تكن تبعد الكثير عن عمودي الفقري ، فجيعتي حينها ان اكتشف كل ذلك في وهلة ، ان أدرك أن من امتلك كل شيء من السهل ان يفقده مرة واحدة دون حتى أي مقدمات ، انا وسام وسم في الصحة والشباب والتميز ، مضرب المثل لكل من يقابله ، تلاشى جميعه تحت صخرة ، وكرة القدم تحطم حلمها في ملعبها ، تكسر مع بضع انهيارات ليكسرنا قربه ويرحل ، ولا أشد ألما من حلم يموت حين كان يجب ان يولد! ، الآن بتُ مفصولا عن العالم كتلفاز قديم قد تلفت سماعته وانقطع ارساله ، ترى كل شيء ولا تدرك ماهيته ، بينهم وبقربهم .. ولست معهم! ، ستصير لاول مرة وسيلة التخاطب الوحيدة ورقة وقلم كما كنا نفعل في المدرسة حين نشاغب المعلم ونتراسل سراً ، ساصبح أقرب الى سر علني ، ولا سبيل لتعيش الا بتلك الطريقة ، فمهما تعلمت من لغة الاشارة لن يستطيع الكل فهمك ، ولا تَفَهُمَك ، خصوصا اؤلئك الذي عاصروك في عز فصاحتك بالكلام ، قوة حجتك وألفاظك النابية حين تغضب ، يرحل كل ذلك مع اول سحابة صيف ، لتغدو كهاتف صامت ومُلقى ، مهما غدا مملوءاً الا انه غير مسموع ، وغير مبالى به ! ، وحدها تلك النفاصيل التي تثير فينا الصخب هي ما تلفتنا ، واجزم انني سأصبح كرسيا خامسا لطاولة غرفةفي مجتمع لا يعترف الا بما يشبهه ، وينكر كل مختلف ، ويمقته ! أما عن خالد فقد مضى على وجودي بالمشفى أسبوعا ولا أثر له ، وهو كان الذي لا يمل من السؤال عني حتى لو تأخرتُ قليلا في بقالة حيّنا! ، توقعت من ملامح أمه التي زارتني عدة مرات دونه ما حدث ، وكنت مُصيبا في توقع المصيبة ، أختارتنا الانقاض وثلاثة من فريقي حينها لنكون من سكان المشفى فترة من الوقت ، أما هو.. فقد كان له مكان آخر. .. توفي خالد وهو يحاول انقاذ صديقنا سامر ،

فانهارت عليه لتقضي على ما تبقى من أنفاسه الدافئة تحتها ، رحل .. نعم رحل خالد ولم يودعني حتى ، لم يربت على كتفي ككل مرة ليقول لي بابتسامته المعتادة "غداً يوم آخر لوسام لآخر! " ، أوكأن اول خطوة لحدوث الاشياء ان نتوقعها ؟! ، توقعت ان يصيبني مكروه ذات يوم لأجد خالد بقربي ، يكمل أصابعي الناقصة ، وصوتي المبحوح ، وعرجة قدمي ، لكنه هذه المرة لن يفعل ، وما كان بوسعي فعلُ شيء ، ولا حتى ان اجبر جراح أمه المكلومة بابنها الوحيد والذي أوصتني به ، ما استطعت ي خالة ..وربي ما أستطعت ..ولو كنتُ أعلم أن ثمة قدر قد يفرقنا لما أخترت أن ننفصل في عالمين مختلفين ، أن يجمعنا القدر أبداً !! ، حتى الدعاء ما كان لساني يخرج صوته ، دموع لا اسمع شهقات وجعها لكنها تحرقني ، و قلبي لم يجف من الدعاء له ، ومن رثاء حالي بعده .. أنصاف الاحوال التي لم تخطر لي على بال ..كما الخيال !

أي معاناة قد أصل اليها وأنا افقد كل شيء على عتبة صدفة ، صدمة ، بالأحرى صخرة كانت أقسى من ان تدرك هشاشة خبرتنا بالحياة ، ان تسلب منا نصف الروح ونصف الادراك ونصف الذاكرة .

عزائي كان وجه امي الذي لم يتركني لحظه ، واوراقها التي تتبعثر في كل مكان ، نتخاطب بها ، ونتواصل بأفكارنا عليها ، حتى النِكات كانت تكتبها على أطرافها وارد عليها ب "هههههه "في ورقة أخرى! ، تلك الأم جعلتني أشعر أن الله لا يأخذ كل شيء الا ويترك لك شيئا ما ، لا يسلبك من خير حياتك شيء الا ليحيطك بما هو أجمل ، او ربما حتى يلفتَ عينيك لجانب آخر من حياتك لا تدركه ..ولا تدرك من يعيشون فيه !

كتبت لأمي ذات ألم اشتد عليّ في ساقي حينما لامس الاعصاب وأنا أبكي من وجعه ..

امي ، بي الآن قدر من الآلام لا توصف ، ما كنت اتوقع ان اشعر بها يوما ، وصدقيني.. دموعي هذه لم تكن شفقة على حالي بقدر على ما سيموت مني ولن يخرج على شكل حرية غضب ، اتالم ي اماه ولا أستطيع ان أقول "اه" ، ان اصرخ ، كأنني اغتصصتُ بلقمة من طعام ، لكن هذه المرة لا تخرج الا بخروج الروح!

لا أريدك ان تبكي من أجلي ، ولا أن أراكِ حزينة شاحبة ، وانا ما اعتدتك الا مؤقت الربيع الذي لا يعترف بفصول ، عندك تتوقف نسبية السنين لتبدأ منك ! ... من هنا وصاعدا سأعيش حياة تخلو من وسام الذي عرفتِ والذي ربيتِ ، واعذريني ان غطاني الزجاج الذي يعزلني عن العالم بسماكته كل يوم ، حتى أختفي خلفه ..!

.. كنتُ يائسا حينها ي خالد ، حتى من فكرة أن اعيش وانا لا أدرك ما حولي ، ولا اراك ..كنتُ احتاج حينها اليك بشدة ، بالمناسبة .. لم استوعب فقدك حتى الآن ، لذلك لن اتعجب من ذاتي لو تخيلت أمامي وانا أخاطبك ..

ضاقت حينها كثيراً، وباتت كل أبواب الحياة مغلقة في مجتمع يبتر يدك الثانية لمجرد انك بيد واحدة ، وقد كنتُ أشبههم جميعا حتى تلك اللحظة ، كل الابواب التحمت مع الجدران لتصنع سجنا لا مفر من الاختناق به ، وأظن لذلك كانت النافذة !

ثمة حكاية تدخل لقلوبنا من الباب ، واخرى تقفز دون موعد من الشباك ، تترقب أعيننا المخارج والمداخل وأبواب المساحات المغلقة أن توصلنا بالامل ، لا ندرك ان صرير تلك الابواب تشاركنا به في وجع انتظار من لا يجيئ .بعض احلامنا تختار النوافذ رغما عن شريعة القانون والعادات ، فهي ثقب الجدار الخاطيء الذي حاول ان يكون بابا ولم يفلح !، مع هذا فالكثير من قصصنا تقف في الصباح على حافته ولا نلتفت لها!..

أحتاج لمثل هذا الصباح ...وتلك النافذة !

يتـــبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

أدرك كل لحظة ان ما يأتينا صدفة يعيش للأبد ، فالامور حين تتعاكس تكون أقرب للصواب، ونخطئ بالمقابل في الحفاظ على ما قد سعينا له عمرا وأكثر ، قد لا يرحل.. لكننا نزهد فيه بمجرد امتلاكه ..فنتركه نحن!

الخامسة الا ربع .. توقيت مميز أترقبه كل يوم منذ شهر حين وقع ذلك الحادث ، شهر كبرت فيه عشرين عام ، صارت دقات قلبي أقرب لأذني من أصوات من حولي ، أسمع خوفي ، قلقي ، تفكيري ، فرحتي وحزني ، أعرفني أكثر كل دورة دم داخلي ، لأكتشف ان نصف حقيقتنا حول أنفسنا ما نراه ونسمعه من الآخرين .. لا ما نحن عليه حقاً.!

تبدو الحياة الان عندي بلون واحد ، بحيادية الرمادي التي لا تعرف حزنا او سعادة ، منعزل منذ فترة في هذا المشفى لا اتحرك بسبب رجلي ، وأخشى ان اخرج للعالم فينكرني وأنكره .. فأكره الحياة واعود لعزلتي من جديد ..! .

مممممم .. الملفت في هذا الجناح من المشفى انه مختلف الاضاءة ، له جانب ذا ضوء لا ينقطع ليلا او نهارا من ناحية الشباك ، وذلك غريب لان موقع المشفى لا يسمح باضاءة اكبر في الليل ، ولا مكان الا لإنارة صغيرة بالنهار ، فكان وجود ضوء علامة على شيء يقع جانب غرفتي لا اعلم عنه ، لم أكن أقوى على الحركة بسبب كسري حتى أصل الى هناك لأرى سر هذا ، ولا أنا الذي يستطيع ان يسأل أحدا خشية أن يكون السؤال مستغربا والاجابة أغرب ، ومع ذلك لم أمنع فضولي من أن يترقب معرفة السر بفارغ الصبر ..

مضحكٌ حالي وقدأصبح لدي لكل طلب او ردة فعل ورقة مخصصة له ، وورقة بيضاء مساندة أسرد عليها ما يجول في خاطري في أقل عدد ممكن من الكلمات ، صار خطي أجمل بكثير ، وصار صمتي الذي لا ينتهي بداية لفكرة التدوين كلما خطر ببالي في دفتر صغير تحت وسادتي ، أسلي به ضيم الوقت واكتشف نفسي أكثر ..والا ستموت حكايتي وأموت معها !

لم أعد احتمل هذه السكون الذي طال بي كثيرا ، ولا يبدو انني سأشفى سريعا كما أعتقد ، فرجلي مصابة بكسر حاد بأكثر من منطقة ، وفكرة الحركة او حتى محاولة التعكز عليها تبدو مستحيلة ، ما كان مني الا طلبت منهم كرسي متحركا ، صحيح انني لن اتعدى حدود تلك الغرفة التي باتت منزلي وكل حكايتي ؛لكنني أيضا ربما أكتشف سر الضوء الذي نفد صبري لاكتشافه.

في اليوم التالي جاءت أمي صباحا كعادتها لتشير لي بابتسامة وترفع ورقتها المعتادة "صباح السلام لأحلى وسام " وابادلها بصبح الخير على ورقة أخرى ، هذه المرة كانت تجرّ الكرسي المتحرك الذي وعدني الطبيب به منذ يومين ، ساعدتني أمي والممرضة لأجلس عليه بصعوبة بعد محاولة لتغيير وضع جسدي وتثبيتي عليه ، كنت أشعر بشيء غريب وكأني قد وجدت لعبتي المفقودة في احدى الطرق ، اخذت احرك عجلاتها بحذر الى الامام والى الخلف في محاولة مني لفهم حركته ، فهو قدمي حتى اشعار آخر ..!

لطالما قال لي والدي بأن أيام الشباب رغم عبثها الا انها الاكثر جمالا ، ورغم قلبها النابض بالحياة الا اننا نمل منها ونتمنى لو انها تنقضي ، أن نكبر سريعا ، نخرج الى الحياة ونترك كل ماضينا خلفنا ، تخيل! كنا نتمنى ان ننسلخ من ماضينا لنعيش حياة الكبار ، ما ان نكبر حتى تنقلب الاية ، وكأننا ما تمنينا شيئا..تذكرت كلمات والدي تلك وانا اشعر بانني كهل امتطى كرسيهُ المتحرك في ايامه الاخيرة ، يُراقب الجميع من بعيد ولا يشاركهم تفاصيلهم ، لانه لا ينتمي الى زمانهم هذا ، ولا الى حكاياتهم ، وما أسوأه من شعور حين يتكابل عليك وانت في منتصف حلمك ، بل ربما في اول خطوات الطفل فيك حتى يتعلم كيف يكون رجلا ، فتفاجئك الحياة بتوقف الزمن عند لحظة ما ، يصبح فيها كل حلم ماضي ، وكل حقيقة مهما ساءت واقعا لا مفر ولا مهرب ..! ، لست سادِيّاً بأفكاري السوداء ، لكن اعتقد ان مراحل الحياة ليست دوما بالترتيب الذي نعرفه ، منا من يعلق في واحدة منها ليعيش عمره كله ، أطفال لا يكبرون ، وكبار يولد العجز فيهم قبل الشباب!

خطوة أخيرة ...نعم ..واخيرا .. النافذة .. والضوء الذي عاث بفضولي فسادا ، مممم ماذا عساه يكون ؟!

استأتُ حين وصلت للنافذة ولم أكن أصل لحافتها بالكرسي لأرى ما بالخارج ، يا لصدمتي ..! ، لا بد من طريقة لارى بوضوح ..فكانت تلك الوسائد التي اضفتها لمقعد الكرسي بحجة انه غير مريح الحل المثالي ، دعنا نرى ما يجول بالخارج ...في طريقي نحو النافذه ارى حائطا بنياً يمتد لعدة أدوار فوق مستوى المشفى ، مبني بعناية متناهية من الحجارة البينة القريبة للعمارة الفرعونية ، ما ان اقتربت أكثر حتى بدت لي عدة مكاتب في الطابق المقابل لي من ذلك المبني ، تبدو كأنها مكاتب عمل في مؤسسة او شركة ما ، وجزء من نوافذها يطل على غرفتي ، جميل ، لطالما أحببت مراقبة الموظفين وهم منهمكون في فك شيفرة الاوراق التي لا تنتهي ، طقوس القهوة والبدل الرسمية ومواعيد الاجتماعات تشدني كثيرا ، واعتقد ان وجودي هنا سكون مسليا ، خصوصا انه ما من شيء اقضي وقتي به ، سوى انتظار ما لا يأتي..!

صرت هذه المرة انا من استيقظ وحدي ، وأطلب من الممرضات بنقلي للكرسي والذهاب بي نحو النافذه ، حتى اراقب هذا الروتين عن كثب ، وكنت أحرص حينها ألا يراني أحد ، خصوصا حين

يحين الليل وتصبح اضاءة غرفتي اعلى من المكاتب ، فاقوم باغلاق الاضواء واسناد رأسي للنافذه ومتابعة عملي اليومي في مراقبتهم كما يفعلون هم !

رجل كبير في السن يعمل صباحا حتى التاسعة ، وشابة تبدو في مقتبل عمرها تتناوب عنه حتى المغرب ، ليستلم عنها ليلا فيما بعد رجل آخر ..، أشعر كأنهم لعبة شطرنج لكنها أحادية اللون ، تتحرك القطع فيها بانتظام كلها سعيا وراء قضية واحدة (المال) ، متى ما كانت الخسارة كان على تلك الشركة ان تعلن انسحابها من اللعبة بصوت عالي (الملك مات !) .. في ساحة لا يبقى فيها الا الكبار لا تنتظر من الجنود ان يصمدوا كثيرا تحت أرجل من حديد !

كان اكثر ما يلفت انتباهي تلك الفتاة التي تعمل في المناوبة المسائية ، تأتي كل يوم بملابس أنيقة رسمية سوداء وحقيبة كبيرة مليئة بالاوراق ، وكأن شبح العمل يطاردها أينما ذهبت فصارت ملابسها رمزا لحدادها على وقت الفراغ الذي ذهب ولم يعد ! ، تجلس على مكتبها دون انقطاع يُذكر ، تكتب وتكتب .. أحيانا كانت تتوقف للحظة لتعيد ترتيب شعرها أو كحلها السائل ،وأحيانا .. كانت تُسند رأسها نحو الخلف وتبكي !، فجأة دون مقدمات ، تمسح دموعها وتراقب وجهها في المرآة لتعود للعمل كأن شيئا لم يكن ! ، ما أغرب النساء ، وما أصعب تفسير علاقة أفعالهن بما يدور في رأسهن ، تصمد أمام الصعاب كما ألف رجل من عزم ، واحيانا تخار قواها لأهون سبب وكأنها ليست تلك الجبارة الاولى ، تبكي وتفرح وتغضب في آن واحد ،ولا تعرف أي ذلك هو وجهها الحقيقي .. لتكتشف بعد حين انها كانت بوجه رابع ! .كانت تثير فضولي لأن الاسئلة نحوها أكثر من الاجابات ، والغموض الذي يعتلي تناقضها يدفع فضولياً مثلي لمعرفة المزيد ، فقط ليعرف ..!

...ستكون هذه المرة نافذتي طريقا لأحلامي التي اغلقت الباب في وجهي ، فبعض الاحلام تختار النوافذ طريقا لها ،فقط لانها عاشت عصية على الخيبة ، ولن تموت خلف انتظار مواربة باب من أمل ..

ونافذه تلك الفتاة .. كانت بابي !

يتـــبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

أتعجب ممن يتخذون من القهوة طقساً صباحيا لهم ، يواجهون مرارة الحياة بمرارة أخرى ، كأنهم يتذوقون الحكايات مركزة في كأس ، حتى لا تفاجئهم مرارتها! ، لكنني أعتقد ان الكثير منهم يتوارثونها والصباح عن ظهر تقليد للآخرين ، حتى يُصنفهم الآخرون من طبقة القلم والورقة ، اولئك الذين يتخذون من بعض الروتينيات رمزا لحياتهم حتى بات الجميع يتناقلونها رغبة في الانتماء لهم ولو بالشبه ، لا أكثر ..!.

لم تَرُق لي يوما ، كنت أتشارك مع خالد كأس حليب بالزنجبيل من اعداد والدته كل بداية صباح ، صيفا وشتاء ، كان مشروبنا الذي اختارناه طقسنا الخاص ، لا يتشابه مع أحد في شيء ، ذلك اننا لم نكن نهوى التقليد دونما اقتناع. ..واخفاء القناعات وراء قناع..!

لكأنما تلك الفتاة تتفق معنا بالرأي ، تصطحب مكونات شايها الأخضر الى مكتبها ، تقوم باعداده على عجل ، دون ان تأبه انه مهديء بالأصل لا منبه!، وكأنها تتخذ منهج فقد الوعي بطريقة سلسة ممنهجة حتى لا تشعر بشيء!

في الواقع انت لا تدرك صخب ما يدور حولك الا حينما يجتاحك الصمت، لا تشعر بأصوات المكيفات وزحام السيارت الا حين تُدرك للحظة انك سكنت بيتا مهجورعلى ضفافك .. ومدينة خالية من الحياة، صمتاً ينبع من داخلك لينتشر على شكل جدار عازل ، تُراقب التفاصيل من خلفه دون ان تكون منها في شيء ،فتلحظ ما لم يكن بالحسبان ؛تنتبه للعامل الذي يمر كل يوم ويسلم ولا ترد عليه ، والى الحمامة التي تسكن حافة نافذتك منذ ثلاثة أعوام ولأول مرة تكتشف ان لها جناحا مكسورا لم يمنعها من ان تطعم صغارها وتغرد كل صباح، والساعة التي تسقط منها ثانية كل دورة ، وكأنها تحاول إيهامك بسرعة الوقت حين تعلق بالانتظار. ..!

نحن نموت إثر الروتين الذي يسجننا فيضيق العالم في أعيننا ، حدود العالم اللامتناهي تنحصر في دائرة مغلقة من عادات نتوسّمها بتكرار مؤلم ، كأننا آلة صُنعت لتقوم بنسخ ولصق الاشياء، تقوم بذلك كل مرة وكل لحظة ..آلاف المرات ،وتستمر في دورتها تلك حتى تتلف او يصيبها العطب، فتُوضع جانبا لتُستبدل بغيرها بكل بساطة ،وكأنها لم تكن هناك أصلاً!

لكن.. ورغم اننا ضحايا عاداتنا الا اننا نُصاب بالارتباك دونها ، بالأحرى نجد فيها انتماءنا، انتماء من يعيش بلا وطن ، يبحث عنه في كل شيء مهما بدا صغيرا ، فقط من أجل أن يشعر بأن له ملامح في مكان م أو شيئا يتذكره ! ، أحيانا يجب ان تكون في حياتك ثوابت لا تتغير حتى لا ينفجر رأسك تشتتاً، حتى لا يغيب بصرك عن هدفك هائما في كل اتجاه .. فصاحب البالين كذّاب !

أظن ان تلك الفتاة تجمع الاثنين معا ؛ ثوابت المكان والزمان ، ذاك الثبات الذي يجعلني أوقن انني سأراها كل يوم في نفس التوقيت.. تضع حقيبتها جانباً وتُعد الشاي الاخضر وتنثر اوراقها لتبدأ العمل، ومع ذلك تجدها كل يوم مختلفة ، متجددة ، مملوءة بتفاصيل لا تتكرر مهما بدت لأول وهلة عادية..وباهتة! . صرتُ أحفظ جدولها عن ظهر قلب وكأنني جزء من طاولتها او كرسيّها ؛أراها ترتبك احيانا فتنسى شيئا ما ، فيقفز داخلي شعور لو انني اخترق المسافات لاخبرها بما نسيَتْ ، فكرة

مجنونة حقا. . لكنها روح تشبه ذلك الذي يقرأ قصة ويندمج فيها ، لا ينقصني الا أن اعرف اسمها. . وتعرف انني هنا. .!

مممممم ..ماذا عساه يكون اسمها بالمناسبة ؟!، لا شيء يدل على اسم معين ، حتى ملامحها لا تنطق بسمة معينة ولا مدينة معينة ولا حتى طبقة مجتمعية ما. .،ومع ذلك لا يروق لي ان اسميها الفتاة ، فمن الأفضل لنا أن نُطلق على كل شيء مسمى حتى وان كنا نجهل حقيقته الصحيحة، فنحن نفضل وَهْم المعلوم على حقيقة المجهول ؛ لذلك نحن نكذب، و نبني الظنون ، ولذلك نحن نكتب أيضا ..!

سأبحث في قاموس اسمائي عن اسم لا يشبه أحدا سواها ، دعني أسميها (حكاية) اذا، واراه اسم يليق بها ، يليق بغموض دموعها وضحكاتها الفُجائية ، يليق بنظامها في آن وبعثرتها في آن آخر، ويجب لـ (حكاية) أن تتوازن يوما بين تناقضاتها ، لأننا لا نتناقض في افعالنا الا حين يغيب منا شيء في عواهن الحياة ، في طريق البحث عنه نضيع بين الدروب وبين أنفسنا. ..وقد لا نصل، ولدي يقين ان لها قصة تختبئ بين أوراقها ، بين تلك الكلمات التي تدسُّها في دفترها الاسود ، في تلك الرسومات التي تغلف أطراف كل ورقة تقع تحت يديها وقت تفكير. .، باختصار حكاية ينقصها العنوان !

قد تتعجب ي خالد من حالي لو كنت بالقرب، لاستغربت وسام هذا الذي أصبحتْ، أمور كثيرة لا تعنيني وأجد في ذاتي فضول لمعرفتها ، ربما لانه انتهى كل ما كان لي، لاشيء سوى وجه شاحب بلا تعابير ، دموع صامتة او ابتسامة منكسرة، وهدوء يغلفني كشرنقة في جوف الشتاء، مكبّل لا أملك الا مراقبة من حولي ..والترقب . أتعلم ، ، فعليا ما عاد لي من أحد أترقبه وينتظرني ، ما عاد من أحد استرق السمع لخطواته او انادي باسمه. . إن لم يراني هو فلا مجال ليُدرك اني احتاجه مهما احترقت ؛ لاننا لا نستوعب أهمية الاشياء حولنا الا تلك التي تجرحنا بصرخة ، واعتقد اننا لهذا نولد بصراخ!

وصلت الي مرحلة ي خالد تجعلني أختلق من اللاشيء قصة كاملة ، أبطال، احداث ، وغلاف للنهاية والبداية أيضا ، صَنع خيالي من عدة أشخاص حولي عالم ما، عالم انا لا انتمي اليه بالأصل ولا أعتقد انني سأكون يوما ،لا يعرفني فيه أحد ولا أعرفهم ،ومع ذلك نَصَبْتُ نفسي له مُخْرَجَاً ، والجميع أبطال تحت إمرتي في قصتي الصغيرة. .!

أعلم انه عبث أن اتجسس على حياة شخص ما ، أن أتحسس تحركاته وأفعاله من أجل فضول وحسب ، ان اصنع من ظل أيامه (حكاية) وأراقب سيرها ، وربما أتعلق بها ، لكنّ عزائي لنفسي أن كل ذلك لا يعني أحداً سِواي ، ولن يؤذي احداً مهما طال ، فهو عبث وُلِد في صمت ، وكيفما وُلد سيموت !

أصابتني مساء يوم ما حمّى شديدة كردة فعل لتلك الادوية التي اتناولها والتي قال الطبيب بأن مفعولها العلاجي سيطغى سريعا خلال الايام القادمة على ما تسبب به من اعراض ، كنت طوال الليل أهذي ، أشعر انني في يوم ما في طفولتي ، ثم أعود لاواكب لحظات قصيرة قبل الحادث ، ظللتُ على تلك الحال حتى قبيل الفجر، ثم بدأت حالتي بالتحسن وأخذ العرض الجانبيّ يتلاشى شيئا فشيئا ، استيقظت متأخرا بسبب ذلك ، وكما عادتي - منذ ثلاثة وأربعين يوما بالتحديد - اطلب من احدى الممرضات مساعدتي في تبديل ملابسي وتناول فطوري ومن ثم إجلاسي على الكرسي حتى اتابع بقية يومي في مراقبة ما يثير فضولي على الطرف الآخر من نافذتي ، وكأنه مسلسل من حلقات مجهولة النهاية . تحركت بالكرسي نحو النافذة كما العادة ، كان منتصف الظهر ، وكنت في ذلك الوقت اختار الجهة اليمنى من النافذة بعيداً عن الشمس ..ما ان نظرت نحو النافذة المقابلة حتى اكتشفت انه ما من احد بالمكتب.. على غير العادة ..

...لكن ، على النافذة ورقة بيضاء مثبتة نحو الخارج كُتب عليها بقلم اسود عريض..

" تأخر معك الصباح هذا اليوم كثيراً، فانتهى حينها يومي ؛ لذلك لا تتأخر..!"

يتبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

فقدت قابلية النطق ، لم أسمع صوتي منذ زمن حتى بدا يتلاشى من ذاكرتي ؛ ذاك انني لم أفكر يوماً انني قد لا أسمعني مجدداً ، فنحن لا نلقي بالا لما نمتلك وأحيانا لا نراه حتى نفقده!. فكرت في الموت كثيراً ، وكانت تلك الحكاية تراودني كل غروب ، كل دقة لساعتي عند الخامسة ، وفي ذات الوقت.. أشعر انه لو كان الموت أفضل لأختارني كما أختار خالد !. .

اليوم لأول مرة منذ شهور لم اجد لتلك الفكرة مكاناً ....

" تأخر معك الصباح هذا اليوم كثيراً، فانتهى حينها يومي ؛ لذلك لا تتأخر..!".. جملة لم أستوعب أنها كانت موجهة لي ، أن يراني أحدٌ وينتشلني من وسط سكوني ، وأن أعني له شيئا حتى يتخلى عن يومه ان لم أكن اشاركه فيه ولو من بعيد، لكن .. هل من الممكن ألا تكون من أجلي؟! أسكن طابقا علويا عن المكتب ، وأحرص ألا يراني أحد ، هل كل ذلك باء بالفشل ، هل أعتادت رؤيتي او حتى ان تلمحني كل يوم لدرجة انها من الممكن أن تفتقد وجودي ؟!لكنها لم تلتفت نحوي مرة ، لم

ترفع رأسها حتى لتراني ولو بالصدفة..، صحيح أننا نشعر احيانا بمن يُراقبنا حتى لو لم يكن في ملمح البصر، لكنّ انسان مثلي هادئ ككرسي في قلب صحراء من المستحيل أن يشعر به أحد ، أن ينتبه لقلبه المتخم بالوجع الا ان اصطدم به ، ان تعثر بقدمه المنهكة ، او بعجلة مقعده الصدئ ، في الواقع كل يوم يزيد شعوري باني أريد أن اعتزل هذا العالم الذي يجهل كيف هو وجه شعوري حين يضيق، كيف هو صوتي حين أغتص ، كيف هو صمتي الصاخب الذي لا تسمعه الا القلوب التي تشاركني نبضها .. والتي لم تعد هنا الآن ..

لذلك ؛ بقدر ما زاد أملي بأن للحياة وجه ايجابي ، بقدر ما أشعر ان املي المعلق على نافذتها قد يُهدى لغيري ، فلا أحد على أي حال يُراقب النافذه مثلي رجاء أن تكون أحلامه مرسومة عليها ..وبالتالي لن يجعل من نافذته حكاية ما !

حلول مشاكل الحياة أكثرها تقع تحت قاعدة " لو أنّك تذوق ما أصابني "، لذلك نحن فقراء بمشاعرنا ، لأننا لا نشارك الاخرين جروحهم ، ولا نعبأ بما تحمل قلوبهم الثكلى الا ان ذقنا مرّ ما ذاقوه ، فلا يشعر بالمريض الا المريض ، ولا بالمعاق الا المعاق ، أما الطبيب فهو خارج نطاق هذا تماما ..رغم انه بقربه كل لحظه أكثر من عائلته وأولاده !

أتعلم .. لا أحد يشعر بي الا تلك النافذه التي قد اغفو عليها أحيانا ، فربما تشاركني أحلامي ، وجعي حين يلفحها البرد دون جدران المكان ، صخب الحياة الذي تحجبه عنا ، هي وحدها من تعرفني وتعرف صوتي ، صوتي الذي لم تسمعه لكنها تنطق حروفه كل لحظة ، تحاكي وتره في أصوات عصافيرها وصغارها وأعشاشها ..، لذلك وكونها تحظى بكل هذا فلن أتجاوز حدودها .. حدودها التي أحاول أن أصل بها للعالم المفقود مني .. مجرد محاوله ..وأعلم اني لن أصل ..!

اليوم أراني مختلفاً ، جلست في مكاني بعين يسكنها سؤال مختلف ، هل تلك الرسالة لي حقا ؟! وهل انا المقصود .. ام خطأ مطبعي ؟!..دخلتْ مكتبها ، وضعت حقيبتها جانبا ، اخرجت كيس الشاي الصغير لتُعِدّه .. اقتربتْ هذه المرة من النافذه كما لم تفعل سابقا ، واذا بها تتطلع نحوي وتبتسم !.
شعرت بالخوف من موقفها الجديد فحركت كرسيي سريعا بعيدا عن النافذه ، لم أستوعب انها كانت تراني كل تلك المده ولم أشعر بذلك ، كانت تشعر بوجودي فعلا لكنها لم تشعرني بمراقبتها كما أفعل ، وتركتني بفضولي يعبث بتفاصيل يومها دون أن تعترض ، لم أفهم حقا.. وترددت ان كنت أعود الى

مكاني أم اختفي وأكفّ عن عادتي تلك ، فانا على كل حال مخطئ ، وما كان لي أن افعل هذا من البداية ، كان يجب عليّ ان أقرأ او انام .. شعور متضارب ما بين ندم وصدمة ...
ربع ساعة مضت وانا بين افكاري احاول تبرير موقفي لنفسي، تقدمت مجددا نحو النافذه بحذر ، أرى ان كانت انشغلت بعملها ام تنتظر تواجدي ، وكنت قد قررت في قرارة نفسي أن أكتب كما فعلت اعتذار على هذا وأضعه على النافذه .. ثم أختفي ، لكنني تفاجأت حين رأيتها قد علقت ورقة على النافذة لمحت طرفها بعيني ، اقتربت حتى أقرأ ما هو مكتوب " أنت هنا منذ ٣ أشهر ، وأعرفك قبلها بـ ٣ أعوام =)" ، ي الهي ، شعرت أنني متورط حينها ، لا بد من الاعتذار اذا ،واذا بي أمسك احدى أوراقي لأكتب عليها " حقا أعتذر ، فاعذريني سيدتي " ..
لمحت رسالتي ثم أمسكت ضحكتها التي لم أسمعها لكنني رأيتها على وجهها ، بحثت في درج عن قلم ، واخرجت من درج آخر ورقة ..

"في الصباحِ متسع لترسم أحلامك على أي نافذة شئت ، لا تعتذر فنافذتي لوحتك =)"

شعرتُ براحة حين قرأتُ حروفها ، وكأنها لا تُبالي بمراقبتي تلك ، بالعكس بل ربما تُسعدها ! ، تشبه كلماتها تلك التي نكتبها لأحدهم بحب قبل أن ينام علّه يحلم بها ويستقيظ خاليا من أي شيء سواها ، أسلوبها كان غريبا ، وكأنها أعتادت ان تجعل من أوراقها على تلك النافذه محادثة علنية لأحدهم ، خصوصا تلك الرموز الباسمة التي تضعها في نهايه كل جمله " =) "، لا أعلم بم أرد ، عالق بين شعور احتقارٍ ذاتي وبين الحيرة المصاحبة لغموض ردة الفعل ..!

أيها الغد، ماذا تريد أنت أيضاً؟وماذا تحمل لي ؟، انظر كيف أصبحت بعد أن جرَت عليّ الأيام.كيف جعلتني بقايا الماضي كائنا بنصف حكاية ، فقد لسانه ،ليجده مثبتا على نافذه مقابلة له على شكل ورقة ،قدماه لا تحملان له شيئا الا جملة ناقصة المعنى على طرف سطر ما ..

لكن .. المبهج في هذهِ الحياة ، أننا أحيانًا نضحك بلا سبب مهما كان خوفنا من القادم ، ليس المهم كيف هو شكل ضحكتنا .. حتى لو كانت مجرد رمز مرسوم على ورقة ؛ المهم أنها تعني أن نصف أملنا هو ثلاثة أرباع جهلنا بما هو آت! ، ولأني كنت أجهلك أيها الغد قررت أن اتوسم ذات الابتسامة التي

رسمتها (حكاية) على ورقتها ، حتى تثبت لي الايام عكس ذلك ..

- " =) ربما ليس أنا من رأيتِ قبلاً ، لكن أشكر لك رحابة صدرك ، واعتذر مجددا "

- " بل اعتذر للحمامة التي هجرت عشها على النافذه بسببك ، فقط اشكر نافذتي لانها كانت عشها بالمقابل ❖_❖"

- وكيف لاحظتي وجودي ؟!"

- " لا يشعر الآخرون بصخب الصمت فينا الا ان التفتوا لنا ، الحمامة جعلتني أفعل ذلك "

- شكرا للحمامة اذا : $

- وأيضا شكرا لتلك الحكاية التي جلبتك الى هنا =)

- بل تقصدين الوجع ، أنا هنا في مشفى وليس في منتجع =(

واذا بها بدأت بالبحث في درجها عن أوراق أخرى ، فأخرجت عده ورقات حمراء وأخرى خضراء ، كتبت عليهم دفعة واحدة ثم ثبتتهم بالتوالي

أمسكت بالحمراء منها أولا ، رفعتها نحوي بنظرة حزن وكأنها تشارك بلونها ألماً ما ..

"يحدث ان تتخلى عن أمنياتك مقابل شخص واحد اجتمعت فيه أمنيات كثيره.. ثم فقدته"

" يحدث أن يموت في عينيك الحلم لتتمنى لو أنك تُدفن وراءه "

"يحدث أن تفقد كل شيء حتى ذاتك ، ليسكنك ذاك الفراغ الذي لا ينتهي بشيء"

" ويحدث أن يملأك الماضي بجراحه حتى تخال المستقبل صفحة ممزقة منك "

ثم تبدلت ملامحها فجأة لابتسامة عميقة وهي تمسك أوراقها الخضراء ..

"مع ذلك أمانيك تظل وفية لك مهما ابتعدت ، ستلقاها يوما ما ولو صدفة "

" اولئك الذين تخلوا عنك ستجد من هم أجمل ، كانوا بقربك لكنك لم تنتبه لهم يوماً "

"ومهما فقدت فلاشيء يرحل عنك وكان فيه لك خير، قد رحل يشرّه !"

"و ستلتئم جراح الماضي حتى يصبح مستقبلك مضاد لحساسية الوجع ، ستهديك مناعة الحياة !"

تركتْ اوراقها كلها على زاوية ثم بحثت عن بيضاء أخرى ..

رسمتْ عليها وجه مبتسم بعيون دامعة ..

ثم كتبتْ "ستغلب ابتسامتك دموعك ، ستدعمك انحناءه وجهك من ان تسقط منكسرا امام دموعها ، فابتسم "

"هنا لك مساحة لتشاركني ألمك ، وجعك ،فرحتك، كلمة صباح الخير ، وحتى كأس قهوتك !"

" لكن عدني ألا تزعج الحمامات بصرير وجعك مرة أخرى، لأنها تسمعك ولذلك ترحل =)!"

ابتسمتُ وعيني مملوءة بدمع يشبه دمع أم وجدت طفلها ..

" أعدك =") .."

يتبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

بوسعي أن أتخيّل حياة اخرى تختلف عما انا عليه الان، أن اتخيّل شكل العابرين الذين في يومٍ ما سيكونون أصدقائي، صوتي الذي يعود ليجعلني مغني او مذيع مثلا، وتلك الاقدام التي تختبئ خلف الباب فاصطاد صوت خطواتها قبل أن تهرب ، أن أتخيل شكل السباق الذي أفوز به ، ومباراة الكرة التي تؤهلنا للنهائي ...!، الخيال وحده هو ما يُبقينا أحياء ، هو ما يجعلنا نأمل قدوم الفجر مهما غدا الليل كحيلاً و موحشا، أن نترقب المحطة التي تحمل الغائبين لنا مهما فاتتنا وفاتتهم قطارات ..!

أحياناً..ليس من العدل أن يخُالج صدرك قبل ساعة ما عطر السعادة ، ومن ثم في غضونِ كلمة واحده تزدحم بالأحزان وتختنق بغصة ؛ كان شعوراً قاتلا.. هي تُعّلق على نافذتها لي كل يوم"صباح الخير.. وها قد بدأ أمل جديد "، كنتُ أسعد بهكذا نوع من الصباح ، لكنني لا أستطيع أن اقولها لأحدهم ولا حتى لها اذا تلاشت حدود النوافذ تلك التي تستر عيوبنا ،

تبدو لي صباح خير وابتسامة مزيفة حين أكتبها لها ، فهي مجرد كلمات على ورق لن تكون مشاعر مسموعة أبداً !

السابعة الا عشر دقائق ، او النافذه الا ربع ،اوسمّها ان شئت الحكاية الا حرف .. فالصباح نسبي ينقصه الكثير ليكتمل ، نافذة لا تسع كل الاحلام ولا تنقل الصورة كاملة ، وساعة يقف نبضها عند السابعة حين تبدأ الاوراق والاقلام بالكتابة ، حكاية كانت انسان من سعادة ، ينقصني الكثير من المعرفة عنه لأعلم أي حزن يختبئ خلف عميق الابتسامة تلك ..!

- "كيف حالكَ اليوم ؟! "

.. ليسَ الجميع يتساوون في شعور هذا السؤال ، لانه مؤلم إن لفظها شخص يعرف بأي حالٍ انت ، ردودنا على هذا السؤال متساوية ، لكن من يعرفنا حقا وحده من يشعر بأنها تحمل كلاماً مختلف !

- "أنا بخير ، لم أنم بالأمس بسبب الأدوية ، سيء هو الأرق "
- " الأسوء منه أن تنام والحقيقة تلاحقك فتتمنى الأرق بدل على كابوس مزعج!"
- وهل في نظركِ الحَمَامَات مثلنا تنام وتحلم ؟!
- بالتأكيد ، لكنها لا تحلم بما هو أكبر من واقعها ، لذلك تُحلق بحرية!
- وهل تُقيدنا أحلامنا ؟! هل نُخطئ إن حلمنا بالكثير
- بل نُخطئ حين نفقد أحدها فنيّأس ، اليأس هو جناحنا المبتور!
- إما ان الحياة قصيرةٌ جدًا ، أو انها تنكمش فجأة مع رحيلِ أحدهم ، أحلامنا هي زوائد على أطراف الحياة تحاول اعادتها لحجمها الطبيعي في أعيننا !
- ربما ،المهم أن تجعل لك شيئا ما تنتظر الغد من أجله ، حتى لا تموت قبل الاوان !
- =) سأحاول ..
- "وكأن لاوجود لليأس في هذهِ الحياة ، أنتظرْ حلمك ، فلا بد له أن يأتي"

"دعني أكمل عملي حتى لا يدخلني اليأس باستلام راتبي XD "

- حسنا =)

ليتها تعلم .. حضورها الصغير أحتاجهُ الان ، ثمّة قلب يريدُ ان يحادثها قبل أن يهترئ ، ان يودع انسان قصصه وان لم يحكيها ، أن يملأ اوراقه لأجله ، أن يقضي الليل في تحسين خطه لأجل ان يكتب له ، في أن يتعلم كيف يكتب أقل كلام بأكبر معنى ، كيف يرسم رموزه الصغيره لتعبر عن صوته المكبوت ، كيف يرسل الرسائل نيابة عن ساعي البريد وعن قدمه الضعيفة ..! ، الحاجة إليها أكبر من كونها محادثة تملأ حياتي الفارغة ؛ بل وتملأ روحي الثكلى أيضا ، ما زلتُ أصنع منها حكاية داخلي لأاعيش بين أحداثها ، وهذه المرة أعلنتها البطلة ! لا أحد منا يختار موعداً للسعادة ، ولا يتواعد مع أحلامه على قهوة في وسط المدينة مثلا. . لانختار الحكايات التي ترسم حياتنا من قائمة القصص ، ذاك ان الأمور التي في الغالب ننتظرها لا تأتي ! ، وان اتت فانها تصفع توقعاتنا بكف من حديد. .فنندم على الانتظار ، وعلى خيالنا الواسع !

أتخيلها جزءاً من سعادتي ، فلا أحد يمتص حزنك مثلما يفعل عقلك الجيّد في تخيّل نعيم الصبر ، الصبر الذي يتجمّل بقرب نافذه وجزء حكاية كل يوم ، صبر يُعينني على تحمل هذه الايام التي تتشابه في ملامح لحظاتها إلا من حروف تحملها ورقة وقلم .. حكاية صارت كل شيء مصنوعة من العدم ..!

وأنت تفكر بعمق في مثلِ تلك الصباحات تحتاج لصخبٍ يزعجك حتى وان لم تسمعه ، لكنه يلهيك عن التفكيرِ قليلا ، محادثات الورق تلك كلفتني ٢٧٠٠ ورقة على مدى عشرة أيام ! ، قمت بِعَدِّها حين ملل ، ماذا لو أن كل كلمة قلتها طوال العشرين عاما الماضية كانت تُكتب هكذا ، ماذا لو ان الشتائم كانت تلون بلون أحمر ؟! ، أعتقد ان عالمي كان ليُصبح بقعة من دم كبيرة أستحق عليها قطع لساني ..وربما الآن أدفع ضريبة ذلك ..ربما !

- من الغريب انكِ لم تسأليني يوماً عن اسمي ، وكأن ذلك غيرُ مهم !
- أعتقد انك اخترت لي واحداً لجهلك أيضا باسمي ، لا خيار لنا في اسمائنا ، فالحياة لها أسماء أخرى
- وماذا أسميتني ي ترى ؟!

- "أتعلم ..جميع الحمامات هنا أعرفها ، كان بالعُش قربك حمامة أسميتها لطول أجنحتها "جناح"، ولأنك أخفتها فطارت بعيداً ، فقد سميتك مجنّح !"
"لا اعلم صلة الاسم بك ولا يُهمني كثيرا، فانت الان مجنح =)"

- جميل ، اعجبني الاسم ^^

- هذا جيد ، هل أستطيع زيارتك في المشفى ؟!

أصابني الارتباك حينها ، زيارة كتلك ستعرف بها الحجم الحقيقي لما أمتلك ولم تبقى مني ، ستعرف ان الذي تحادثه كل ما يملكه هو ورقته وقلمه .. ما عدا ذلك فهو بقايا كائن بشري !...ثم .. وكيف اتحدث معها وأسمعها ..؟!
لكأنني شعرتُ أن ذلك نذير نهاية كل حكايات الصباح تلك ، أخاف من أن تهترئ أقدام اللقاء ويحول الغياب بيني وبينها بصدمة ، لتصدأ النافذه وتُغلق الى غير رجعه !. ما كان لي أن ارفض لان ذلك صعب بعد كل تلك الفترة وسيكون مدعاة للشك ، وايضا ما كان لي أن اوافق ، فلا أرضى ان يرى بطل قصتي مُخرجَه لا يقدر على تحريك نصف مشهد الى وجهته الصحيحة ، فيفقد الثقة به ويترك دوره ويترك عالمه ، ولا أعتقد انها تختلف عن هذا المجتمع بشيء ، ترى الاعاقة دلالة ضعف ونقص يشوه كل التفاصيل التي كانت يوما في نظرها جميله !

- " ماذا بك ؟! #_#"

- لا شيء =)

- اسمعني ..ربما احيانًا نَعبرُ من الحزن كما لو أننا نَعبُر شيئًا لانود ان نتعرف عليه فنفشل ، وانا أريد أن اساعدك أن تتجاوز محنتك أياً كان شكلها ، لن تكفي النوافذ لتطير منها كل أحزانك ، يجب أن تُشاركها أحدهم ..

- وكيف نتخطى الحزن ونحن نرى جرحه أمامنا ونشعر بألمه كل حين ؟!، ثمة جراح لا تلتئم سريعا الا بجرح آخر أكبر على ما أظن !

- "ممم ..ببساطة ، كنتُ احاول ان اوصل لك ما بداخلي في كلمه او اثنين ولكنني لم أستطع ، كنتُ هزيلة في مساندتك ، وتمنيت لو اني أصنع السعادة لك طوال تلك الفترة ، أن اخفف عنك شيئا ما "

"لكن لن تكفي اوراقك لتُغير حياتك ، لا بد ان نتحدث عن قُرب حتى تُدرك أن ثمة من يُساندك ويشعر بك ، حتى تلك الحمامة التي طارت أخذت من حزنك شيئا ورحلت.!"

- "إنني أتجاهل الأحداث، أتجاهل الصور المزّقه في عقلي ، أعيش كإنسان يخاف التعمّق في الذكريات ، ومن ثمّ يموت حسرة على شبابه !"

"أحاول ان اتقلد النسيان كما الكبار حتى أكمل ما تبقى مني دون هشاشة الماضي الجارحة ، ستتكفل الايام لجعلي بخير ، فلا تتعبي نفسك ، تكفيني تلك النافذه"

- "أرجوك ، اترك لي فرصة المحاولة ، هناك الكثير لن يصل هنا ، ويجب أن تسمعه !"

...اذا ، أكتشف كل لحظة مدى بساطة احلامنا بالسعادة وطموحنا أن تبقى ، وشدة الالم الذي نصاب به حين تُنزع منا رغم صغرها ، لكننا بسطاء .. والبسطاء أقل التفاصيل تعني لهم الكثير ..

عليّ اذا أن اكون أكثر مرونة مع الرحيل ، فما خسرتُ على كل حال كان أكبر ..

أكبر بكثير من معنى كلمة خسارة .. ومن أي ألم يكون بعد ذلك ..!

يتبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

ان كانت قلوبنا بيوت..فثق انه لا يسكنها الا الراحلون ، فالمفاتيح هي حقائب السفر ، ووحدهم من يحملونها ويجيدون ترتيبها في قلوبنا ، حتى اذا ما رحلوا يظل صداهم يملأ كل ركن ، وعندها لا يصبح للآخرين من مكان. .. في الواقع قلوبنا للراحلين فنادق لا تعرف ساكنيها. .. يمتلكونها ..ولا يعودون!

أتأملكِ من بعيد ، أحاور نفسي عنك .. كيف تبدو أناملك وهي تكتب لي ، كيف يمكن أن يكون صوتكِ حين ألتقيكِ، كيف لي أن أمنع نفسي من البكاء أمامك لعجزي وضعفي، لتلك الصدمة التي ربما ترتسم على وجهك حين تدركين أني لا أسمعك ولا أتكلم.. أراكِ فقط ، حين تدركين أنكِ كنت تحادثين الورقة والقلم لا أنا ، مُجنحٌ أنا ..بلا جناح !

ورغم أنني نصف من كل شيء ؛ حملتُ من نفسي بالأمس فقط نصف ما تبقى ، نصف رجاء ، نصف أمل ، نصف فرحة و خيبة .. تاركاً مساحة شاسعة لأي شيء آخر مهما كان ، حتى لا تضيق ضلوعي به فانفجر !

أتعلم ي خالد .. يتفطّر قلبي عندما يُخيّل لي أنك كنت بحاجتي ولم تستطيع الوصول لي ..، ويتفطر قلبي أكثر وأنا احتاجك كل لحظة ولا أجدك ،لو انك تضع يديك على كتفي وتربت على ألمي ، أن تُلقي نكاتك السامجة في محاولة ما لجعلي أنسى ..!، لو أنك معي الآن ما كنت سآبه بمن يرحل دوني ،لأنه لا معنى للرحيل بجوارك ، أما الآن.. فأقل اللقاءات بفراقها صارت مؤلمة بشدة ، حتى لو كان عابر لم يأتي ليبقى!، أصبحتُ حساساً بعدك .. ولا أعلم أين يكون الدواء ، سوى ذاك النسيان الذي يتذكرني .!

أن تخشى فراق أحدهم وتبكي وهو لازال معك مثل الذي فقد لذة الحلوى التي بيده وبكى خشية أن تنتهي !، لذلك كان المستقبل مخفياً عنا ، مجهول الاتجاه والوجوه ،نستند نحو حائط أمله متناسين ألمه ، ولا نعبأ ان كنا سنسقط منه أم سنعلو به !. لست أعلم ..لكأني أشعر بيقين المستقبل كأني أراه ، أرى تسلسل أحداثه .. ، سأعود وحيداً كما كنتُ ..ربما الى ذات النافذه ..لكن حينها لن يراني أحد ..لا أحدَ أبداً..!

قد نصل إلى مرحلةٍ لانخاف فيها من فقد شيء، إلا شخص واحد نرى فيه كلَ شيء ، بالأحرى آخر ما تمسّكنا به على وجه هذه الحياة المسلوبة ، بتُ أراها ما تبقى من أملي ، من فضولي نحو الغد ، من أنصاف الابتسامات بي ، ما تبقى من صوتي وخطواتي ..حكايةٌ هي مفتاح بدايتي بعد النهاية !

اليوم ستأتي كما اتفقنا منذ أسبوع في موعد الزيارة بالمشفى ، قالت بأنها تتمنى ألا تراني في تلك الغرفة لكآبتها من وجهة نظرها ، اقترحتْ بأن نلتقي في مكان الزيارات العائلية بالأسفل ، كان اقتراحا جيدا لي ، على الاقل يمنحني حركة ما قبل أن ارها ربما تخفف اختناق ما أشعر به من توتر ، خصوصا أن الأفكار لم تترك لي هناء النوم ولا لحظة ..!

الموعد كان الخامسة ..قبلها بربع ساعة طلبتُ من احدى الممرضات مساعدتي في النزول بكرسيي المتحرك للدور الأول ، استغربت طلبي كثيراً، فانا لم أعتد الا ان أجلس قرب النافذه صباحا مساء ، حتى انها صارتْ تراقبني من بعيد لتعرف ماهية الأمر من شدة فضولها ..

بحثتُ عن طاولة جانبية في مكان الزيارات العائلية ، والذي كان مقسماً كأنه مطعم كبير ، طاولات مربعة صغيرة وكرسي في كل طرف ، طلبتُ ازاحة أحدها بهدوء وجلست ، أخذت أقلب عيني في

الوجوه ، في المرضى والزائرين ، كانت ملامحهم فريدة من نوعها ؛ مريض طاعن بالسن بالغ السعادة بأنه رأى ابنه الذي كان من الواضح انه لم يزره منذ فترة ، اما ملامح ابنه فكانت تعلوها المجاملة الكاذبة ، وكأنه يريد أن يُنهي كل هذا سريعا ..وي حبذا لو أخذتْ ذات النهاية والده الى غير رجعة!، ي الهي ، ما أتعس تلك الحياة التي لا تعرف وفاء ولا اخلاص ، أن تُنكر اليد الكتف التي أسندتها حتى عاد توازن صاحبها ، أن يُكسر العكاز ويرمى في أقرب حاوية لمجرد ان الغرض منه قد انتهى ، أن ينسى الابن أباه في زحمة الحياة وكأنه ما كان ذاك الانسان الذي لاطالما نسي نفسه كثيرا سبيلا لراحة ابنه وسعادته !. الأصعب أن ترى فرحة شفاه والده التي لا تُوصف ، لكنّ عيناه تعرفان كل شيء ، كأنها ترمي في جعبة التفاصيل سؤال : لو أن هذا أخر يوم في حياتي ؛ أريد أن أعرف كيف ستتذكرني ي بني غداً.. وكيف هو طعم نسياني ..!، وليتَ ابنه يُدرك أن دائرة الحياة أضيق من أن تتركه دون أن يكون مثل أبيه يوماً ، واعتقد أنه سيسأل ذات السؤال بأسى ..وبذات المكان !

..وأنا ..أما أنا في هذا الصخب الذي لا أسمع منه الا احساسه أخذتُ أراقبني ، أتطلع الى نفسي ، الى مجموعة الاوراق البيضاء التي احملها فوق رجلي ، وقلمي الاسود الذي يرتطم بقلبي كلما طرأ ببالي أنه لساني ، سلامي وكلامي ، وربما دموعي النازفة على شكل حبر في آخر سطر او نقطة ، لن يُهم ما سيحدث ، المهم أن امتلئ بالرضا أنني لن أكون أفضل مما عليه الآن ، لأن الموت كان أحد اختيارات الحياة لي لكنّي لم أمت ، و أعتقد أن ذلك دليل أن دوري لم يتوقف بعد ، لكنه لن يكون كما كان متوقع ..!

الإحساس بشئ من العافية له فرح صغير على نفوسنا المُولعة بهذه الحياة، وذاك الشعور لا ينبع من صحتنا الكاملة بقدر ما ينبع من رضانا بالحال أياً كان وكيفما بدا ، العافية منطق أن تعلم أنه لم يرحل الا السوء ، ولم يبق الا الخير مهما كان قناعه بالياً ومهترئا، العافية هي أن تتخلى عن أي شعور بالنقص وتمتلئ بيقين أنك لست ناقصاً .. لكن كامل بطريقة مختلفة ، كما القمر في نقصه كمال لا يراه من اتجه بصره نحو الجانب المظلم ، وتناسى أنه خلف ظلام الليل ألف جمال ..!

حقيبة خمرية اللون وملابس أقل رسمية داكنة اللون ، بدا شكلها مختلفاً وهي تقترب ، اختلاف المسافات عند النافذة جعل لها ملامح أقل وضوحا .. أما الآن فهي تبدو أصغر وأجمل ، ربما لم يكن جمالها في تفاصيلها بقدر تلك الابتسامة التي لم تُفارق محياها ، والعجيب أنها لم تتكبد عناء البحث

عني كثيراً ؛ وكأنها كانت تعلم مسبقاً أين سيختار صاحب النافذة مقعده ..بل كأنها من اختارته مُسبقا لا هو !

حركت الكرسي المقابل لي ثم جلست عليه ، تُراقب نظرتي لها بابتسامة وأنا متعجب من عفوية لقائها الاول ، فتحتْ حقيبتها لتخرج منها اوراق بيضاء وقلم أحمر !! ، أمسكت الورقة وهي تضعها بزاوية أرى منها ما تكتبه...

- "مرحبا ، سعيدة بلقائك =)"

هنا شعرت بماء بارد وثلج قد صُب على قلبي صباً في غير استيعاب لما تفعل ، هل تعلم حالتي مُسبقاً وتتعاطف معي ؟ ، أم ..أم انها مثلي لم يعد لها من الحياة الا الكتابة وابتسامة ؟!

مايجعلنا نفكر بطريقةٍ بارده هو أننا وصلنا لأقصى مرحلة من اللاشعور.. من اللا انتظار واللا ترقب ..، وهذا ما يجعلنا أيضاً فجأه نسرف في الشعور ذات صدفة ؛ لذلك أعتقد أنني بكيت حينها دون ان أشعر ..دموع مصدومة بعميق صدفة لم تُنتظر .. بصدق صوت لم يُسمع ..وبغرابة حكاية لم تُسمى بعد !

يتبع ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod

التبلّد إنسان مزاجي ، إن أردتُ حضوره في موقفٍ عصيب خذلني ولم يأتي ، ويحضر في المواقف التي أريد ان أشعر بها ! ، لا شيء يَكسر النفس حقاً كأن تبكي أمام أحد يعني لك الكثير ، فالدموع لطالما كانت رمزاً للضعف والانهزام ؛ لذلك لا يبكي الرجال ..وربما هم أحوج له من أي أحد آخر ، ننسى أن الدموع حقٌ كما هي الابتسامة ، هي تنفسنا العميق الذي يُعيد الحياة لنا بعد أن تُداوي فينا بضع خدوش وتفاصيل .!

ما توقعتُ أن أبكي ، ولم أكن أدرك السبب حقاً ، لكن ثمة طفل داخلي حين يخاف يبكي ، حين يفرح يبكي ، وحين يجد ضالته يبكي أيضاً..! ، ما أجمل أولئك الذين يأتون عند حاجتك كخبر عاجل يمسحون على صدرك ويُطعمون قلبك رغيف فرح ويُخبرونك أن الحياة لا تزال بخير ومليئة بالأصدقاء الطيبين ، مليئة بمن قد يشبهونك حتى وان صرت غريبا في بلاد الاغراب ..!

أخرجتْ من حقيبتها منديلا ثم امسكت ورقتها سريعا بخوف ..

- " أأنتَ بخير؟! ، هل تحتاج للطبيب ؟!

مسحتُ دموعي على خجل ، وأمسكتُ قلمي الاسود وأنا أشعر بغرابتنا في زحام الاصوات ونحن نتواصل بورقة وقلمين وكأننا قصتين في خيال ، جئنا من رواية ما لنتشارك قهوة!

- " أنا بخير =)، وأنا ايضا سعيد أنكِ هنا ، لكن أريد أن اعرف لماذا بدأتِ بالكتابة على الورقة ولم تتحدثي معي .. ماذا تعلمين عني مما لم أخبرك به ؟!"

- " أنت لا تعرفني منذ فترة طويلة ، لكن مراقبتك لي هي ما جعلتك تشعر أنك تعرف كل شيء ..أعلم جيدا أنه كان من الجنون أن أفعل هذا ، أن أبدأ برسم ملامحي من جديد في عينيك ، أن أعلن انني ينقصني من الحياة شيء ما لست موقنة أنه ينقصك أيضاً، لم أعد أشبه الآخرين على الرغم أنني لست أسوأ، لكنني كنتُ صريحة مع نفسي تجاه ما أريدك أن تعرفه ، فجعلتُ صمتي هو بداية حديثي..!"

- "وهل كنتِ تتوقعين أنني ربما لا أفهم اسلوبك الغريب ؟!ربما نبذتك وتركت نافذة الحلم اليك كابوساً!"

- " أتعلم .. نحن نخسر نصف عمرنا ومن نحب بسبب تلك الخطوات التي نخشى أن نخطوها نحوهم ، نخسر حكايات وأحلام كانت المسافة لها مجرد كلمة او إلتفاتة صغيرة ..، وأنا من اولئك الذين فقدوا الكثير على عتبة خوف ما ، خلف باب انتظار من يبدأ أولاً ، لتموت الاحلام ولا نتحرك شبراً ..! فكرتُ كثيراً في ردة فعلك إن علمتَ أنني لستُ كما تتخيل او ترى ، ذات الشمس التي كانت تسقط على نوافذنا كانت تحجب الكثير من التفاصيل ؛ خوفي دفعني لأن آتي للمشفى قبل عدة أيام وأسأل عنك ، لم أكن أعلم أنك تشبهني في اختلافي، لكنني اطمأننتُ حينها كثيراً ،علمتُ أننا سنفهم بعضنا أكثر مما كنّا !.

- "تشابه أختلافنا ؟!"

- "كنتُ صغيرة حينها حين علمتُ انني لن اسمع أمي مجدداً ولن استطيع ان اناديها او ألعب معها او مع اخوتي ، فهمتُ فيما بعد أنه ضمور فجائي يُصيب مراكز التحكم بالمخ لأسباب وراثية ذات صلة بزواج الاقارب، أخذ معه جزءاً من تحكمي في حركة يدي، قد أختارني أنا من بين أخوتي ، وأختار كذلك أخي الصغير ،لنعيش سويًا متكاملين أنا قدمه وهو لساني ! ،كنتُ حينها أراقبُ يدي المرتشعة

والسكون حولي ، أبكي تحت وسادتي ، أبكي عكازي المكسور وطفولتي المبهمة ، طفلة صغيرة لم تفهم ما هي الحياة ، لكنّ جُرحها كان كفيلاً بذلك حين علمها الصمت قبل الكلام ، فنزفت عيناها بالأماني وكل معاني الحياة ..!

مع الوقت سيصبح حزنك عادة ، وبكاؤك تسلية ، ووحدتك صديق ، وخوفك زائر ، وسهرك فيلم تُشاهد فيه المقاطع السابقة ! ، و أنت مجردٌ من كلّ شيء ! ، هكذا عشتُ طفولتي في عز الألم ، كان من الصعب أن أكون صديقة لأحد ، والكل حولي يرفضني ، حتى مدرستي التي احببت كل تفاصيلها أجبرتُ على تركها وترك كل ما يتعلق بي فيما مضى ، أن اتجرد من كل شيء الا اسمي ! ، لاشيء يؤلم غير أن تكون كغصن مكسور وفوقك جناح طائر ميّت ، طائر ميتٌ كان حلماً ما ..وانت عاجز على أن تصل له أو حتى تواسي انكسار ذاتك ..!

بعد عام انتقلت للدارسة في مدارس للتربية الخاصة ، كنتُ أشعر بالنقص ، بالأحرى هكذا كان يُشعرني الجميع ..تناسوا ان نصف جمال البشر في نقصهم ، حتى يكون للحياة معنى البحث عن الأكمل !

- " ألم لا ينتهي =(، وماذا نفعل في مجتمع يرى فينا عيبه ، شامته السوداء التي تُفسد عليه ملامح جماله ؟! ، نحتاج للكثير حتى نُنقذ ما تبقى منا في مجتمع يبترنا فقط لأننا لا نشبهه .!"

- "لكن ..جمال البياض لا يُمكن أن تُدركه الا إن غلف عينيك لبرهة حالك السواد ، وحلاوة الطعم لن تشتاق لها ما دمت لم تذق سواها ، جمال الاشياء في الأضداد ! ، ولن تُصدقني إن قلت أن طعم هذه الحياة هم أولئك المختلفون مثلنا ، أولئك الذين يحيون ما طمره النسيان فيمن يراهم ، وربما ابتسم بالرضا بعد أن إلتحف اليأس حتى اختنق ، نحن رمز الحياة للكثيرين ونحن لا نعلم !

- " لماذا لايفهم البعض أن هذه الأشياء تخصنا أيا كان شكلها ، ومن أبسط حقوقنا ممارستها بالطريقة التي نريد ، طالما أن هذه الطريقة التي نريد : لاتضرّهم بشيء !"

- " في الحقيقة أننا مشاركون بشكل أو بآخر في أي خطأ صادر في حقّنا ، نحن أحيانا من يبتر يده الاخرى ، الحياة مليئة بالكثير لنعيشها كيفما كنا ، دعنا نحاول ، فالحياة ملئية بأبواب لم يقرعها أحد "

- "ربما ، وربما ذلك ما جعلني أتشبثُ بقصة خيالية على نافذتي أشعرمنها أن لدي ما أعيش لأجله "

- "أتعلم ...كانت تكتب لي معلمتي في دفتري كثيراً كلما بكيت أن نظر اليّ أحدهم نظرة اقلال : حين تشعرين أن الطريق ضيّق ، تأكدي من حذائك ! ، وان شعرتِ ان ضيق طريقك بسبب قدميك اتركيها جانبا وطيري ..!!"

- " ألهذا كنتِ تراقبين النافذه كما أفعل ، تبحثين عن حريتك فيها ؟!"

- "نافذتك تلك كانت عُش أحلام كثيرة رتبتُها مثلك عليها قبل عامين ، كنتُ أراقب السماء ، لكن دوما ما كان داخلي شعور بأنها قد تسقط يوماً ! ، لذلك لم أكن أفتح النافذه كاملة كما كنت تفعل .. ربعها فقط ، أراقب بها احلامي من بعيد والطرف الاخر من العالم الصاخب الذي لن أصل له ولن يشعر بي ، لكني لم أرد أن أنفصل عنه بأي حال ؛ لهذا أكملتُ تعليمي في احدى المعاهد أمام رفض الجميع واحتقارهم لحال فتاة بكماء صماء يسقط منها القلم ان اصابت يديها التعب ، لكن أملي وطموحي جعل لي يداً ثالثه ، وأذن تسمع ما هو خلف الملامح الكاذبة والحكايات الملفقة .تخرجتُ لأعمل بعدها بعد عناء شديد في مؤسسة كان مكتبها الرئيسي بجانب المشفى.. هنا وتحديدا أما ذات النافذه التي تطل أنت منها كل يوم منذ ٣ أشهر .. كنتُ قد أودعتُ رسالة حلمي لحمامة ، ألقتها على نافذه واقعي ذات صباح ، وكأن الحلم حين نوثق به بشدة لا نفقده مهما طار بعيداً ، إن كان لنا فلا بد أن يعود ..!"

- "أتعلمين ، الجميل المبكي أحيانًا حين نتشابه في أحزاننا كتوأمين يحفظون اسرارهم في قاع قلوبهم خشية السخريّه ، غرباء تجمعهم محطات من رحيل حيث حين مكان لقائهم الوحيد ، تغلق كل أبواب الحياة في وجوههم لتجمع آمالهم نافذه .. ، لذلك بكيت ، فانا الوحيد في الالم منذ شهور ، فلن يدرك أحد مرارة ما أشعر به مهما وصفت له ، حتى لو بكى لأجلي ، فالوجع يخصنا وحدنا .. لا أحد سوانا"

- "سترى في أعينهم أنك غير مكتمل مثلهم ، لا توازيهم في كذبهم ولا كلماتهم ولا ادراكهم لصوت المطر او نسمات الهواء ، لكننا حين نكتمل نصبح فارغين مما نطمح اليه ، جمال الحياة في أن تبحث عن نصف أشيائك المفقودة ، المُكملة لحكاياتك الجميلة ..نصف الغموض ، نصف الوضوح ، نصف الحياة الذي لم تشاهدها بعد والتي تأمل أن تكون أجمل ، في الواقع تكتمل السعادة أحيانا بالنقص !!"

- " لايسعُني اذا في ضيق هذا الواقع ؛ إلا خضمّ هذهِ الأحلام ! ، وأخشى أن تبقى أحلام !"

- " المهم ألا تسمح لأحد أن يسلبك حق الحلم =)"

- للتو عرفت سرّ أمي عندما كانت تفتح النافذة كل صباح ، كانت تسمح للشمس بالدخول ، بالاحرى تعطي لأحلامنا متسع لتجفف دموعها بعيداً عن خيباتنا ، النافذه هي باب الحلم المجنون !

- " ان أعدت قراءة كل تلك الاوراق التي كتبناها معاً فربما تشعر بسخف ما فيها ، وربما تضحك عليها كثيرا حد التعب ، فبعض الكلام نقوله مُبعثراً لئلا يفهمهُ أحد ،لكننا نكسر به وطأة الوجع فينا ، علّنا نُعيد ترتيبنا من جديد !

- " وهل وصلتك من بعثرة حروفي من أنا حقاً؟!"

- "قرأتُ حكايتك مع أول دمعة نزلت من عينيك ، حديثك كان منمق وموجع ..حاولت أن تكذب ولم تفلح ، وحده اللسان من يجيد مواراة المقاصد فينا لتخرج على غير وجهها الحقيقي ، الآن صارت لديك فرصة لتكون صادقا مع كل شيء ، لن يجيد أحد الكذب عليك مهما فعل ..!

وقفتْ بعد ان جمعتْ أوراقها كلها في حقيبتها الا ورقة واحدة ..

- " أذاهبة أنتِ ؟!.. لا تدركين اننا بعد كل هذا لم تكتبي اسمك حتى !"

- "ثمّة أسرار لم يُخلق لها فم ، تبقى هكذا في صمتٍ و هدوء تُراقب من بعيد ثم ترحل ، ستُصبح الحياة الان بمسمياتك الخاصة ، سوف لن تعنيك معاني الاسماء وأصوات الحروف ولا زحام الحكايات ، لن يعينك فقط الا ما بين السطور والذي تعيش فيه الحقيقة مجهولة وباردة ..!

قبل أن أذهب .. لا تحاول أن تنسى الأشياء التي لا تستطيع كتابتها ، ربما يكون من الأجمل تأجيلها ، كذلك هي الأحلام لا تأتي إلا بعد حين.. لعل الحياة تنتظرنا الآن في مكان ما ونحن ننتظرها!

اقطف حنجرة الماضي من صرختها واهدها نوماً بلا يقظة ..هب صوتك الجديد للحياة أمامك .. واسمع تلك الاصوات التي تنطق بها كل شيء سوى ألسنتنا ، فلم يكن يوما الصوت كلمة ، هو صدق نبضة ، وهو حب يسكننا ، هو قلب بحجم قبضة ، وأمل لا يُسكته الزحام ..!

لن أكتب لك وداعاً ، ولا أستطيع الكذب بان اختم حروفي بـ الى اللقاء..

لكن ..ها نحن نزور الكلمات كما يزورها الغرباء ، ونمسح عنها السهر، نزرع بها من ألمنا وأملنا غصناً .. ثم نمضي على مفترق سطر ..

عليك أن تعلم ، ،أنا الذي كتبتُ بيدي القديمة أشياء كثيرة لك..لك قبل أن اعرفك ، مزقتُ كل الشوراع بحثا عنك ، جعلتُ كفك نافذتي التي يطير اليها طيري كل صباح، وكنتُ أعلم أني حين أجدك فسيرحل أحدنا وكأنه لم يجد الآخر ..!

كنتَ تترقبني كل يوم لـ٣ أشهر ..

أما أنا فانتظرتك عامين كاملين ، انتظرتك رسالةً من طير أرسلت معه بقايا صوتي فعاد بك ، شبيهاً لي بين الزحام ،حتى أودعك سري وألمي ونصف ضحكتي وأرحل ..

كان الموعد بيننا في مفترق حياة من حكاية ، مضبوطة اوتار سطورها على توقيت الترقب ..

على النافذةِ الا ربع ، والآن دقت ساعة الغروب.."

على النافذه تماما :

أنا وسام ، الذي لا اسمعكم ولا تروني! ، رغم أنني عشت كحمامة هادئة تنام على عتبة مسائكم كل يوم ..تهديكم أمل الفجر وتمضي ..

هنا أكتب قصتي لها ، هي ذاتها ، أهدي حكايتي الى حكايتها ،رغم انقطاع الأمل أنها قد تُطل من نافذتها مرة أخرى الى قلبي بعد آخر لقاء تركتْ فيه صمت ابتسامتها ورحلت !

والى خالد.. خالد الذي رحل أيضا قبل أن يخط توقيعه على كتابي الجديد للمرة الرابعة ..، انا الذي صرت شهيد الحروف وشريكها ، صار السطر ملاذاً لقلبي من الموت .. من الصمت ، لان الأصدقاء الذين عرفتهم عثروا على أشياء لذيذة سرقتهم مني، لأن الأصدقاء الذين لم أعرفهم بعد يبحثون في صوتي عن حلم. واخذلهم!

أخترتُ أن اعيش في ورقة وقلم .. لربما أجعل أصابعي تكفُّ عن مشاجرة الأبواب الموصَدَة ، علهّا ترسم للآخرين شباك أمل في الجدران المصمتة. لأني وحكايتي كالآلاف غيري ستصير ذكرى ، ستغرب الشمس عنها كأي شيء لتختفي ملامحها ، لتُغلق نوافذ قلوبكم خوفا منها ، تخافونها لأنها لا تشبهكم ، وكأنها وجه أعدائكم المظلم ..! ، كم تبدو الحياة عصيّة عندما تكون قضيتك طيلة الوقت أنك بلا قضية ، خارج الضجيج ، نشاز صراخك ، مهموم بالبحث عن معركة تجعل خسارة هذا العمر مبررة عندك ، حتى لو كانت المعركة أين تضع لقصتك نقطة !

سكت النشيد ، والهواء الذي يراقص الأشجار عاد للبحر ، والشمس الواقفة على رأسي ملّت الوقوف وانكسر ظهرها ، وأنا أفكر بالذي لا يعود ؛ بأي شكل سيصل ! ، أنا الغريب يحمل عمره كفزاعة ، يغرسها بصدره في نومه وعلى رأسه وهو يمشي ، يمشي لإنتظاره الذي ينتظره !

قد أكون أنا حلمي الذي ما زال يبحث عني ، أو أكون حياة شاعر سيء ضاع صوته في أول بيت ، مازال يركض نحو قصيدته ..كيف له أن يبدأها !

مؤلم أن نستهلك هذا الكم من الكلام دون أن يتاح لنا فرصة أن نتذوق طعم أصواتنا. أن نسمع كلامنا في حديث غيرنا ولا نقدر على اثبات أنه كان لنا..!

خلف النوافِذ قلوبٌ عرايا ، ترتجي بالفرح أنصاف الحلول

تغيب عنها أحلام الصبا ، ترسم بالخيبات ألوان الفصول

أنا الطفل الذي قد عاش حكايةً ، قصيرةٌ آمالها مهما تطول

حتى حلمي الذي كان المُنى ..ودعني حين قد حان الوصول !!

وسـام ، ،

https://www.facebook.com/lam3at.zomorod
https://twitter.com/lam3atzomorod